(٩)

أحدية

العبد وربه والرب وعبده

تمام الكلمة لله في الله

مثنى وفرادى بظاهر لباطن وبباطن لظاهر

حديث الجمعة

٢١ رمضان ١٣٨٢ هـ - ١٥ فبراير ١٩٦٣ م

جلس إليه أهله، أو جلس هو إلى أهله، صادقا غير متهم، أمينا بعيدا عن كل ظنه، ثاقب الرأي، يُستمع له، محلول عقدة اللسان يدرك عنه، عرض على قومه ما تصبو إليه نفوسهم، بعد الذي أدركوا من رحلة الشتاء والصيف. بها يطعمون من جوع، وفي صحرائهم وحرمة بلدهم بلد البيت الحرام، يأمنون من خوف. أسكنوا بواد غير ذي زرع، لا يطمع فيه، ولا يؤبه له، أشربوا حبه، جنة الدنيا عندهم حدوده، وجنة القناعة لهم وجوده وشهوده، ولكن في النفس غاية، وليس لطلب النفس نهاية. إنهم يؤمنون بالبيت حرما لهم، وبرب البيت أبوة لهم، وبأهل البيت كلمات الله من أبيهم إبراهيم، يذكرون أباهم إبراهيم، يعتزون بأبوته، حنيفا ومن المسلمين. فقال لهم أخوهم وكلهم وليده، (هل توافقوني على كلمة إن قلتوها كان لكم ملك العرب والعجم والروم)[١]؟ وهذه هي دنيا معرفتهم في ذاك الزمان، فقالوا له متأمليه، إن كانت هناك كلمة تأتي بذلك كله فنحن معك نقولها، علمناها وقلها لنا، فقال لهم (أن تشهدوا وترددوا معي أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله). إنني رسول رب البيت إليكم وعبد الله بينكم، ونبيه عنه إليكم، وإمامكم منكم إليه، رسولا من حقي أنفسكم. أنا دعوة أبي إبراهيم تتحقق، وكلمة الله به تتجمع. فنظر بعضهم لبعض مستهزئين، وردوا عليه مستكبرين، أهذه القالة تأتي بذلك كله، يا لعجبك وعجب بيتك، ما أعجبكم يا بني هاشم! فنظر إليهم وقال (من يبايعني منكم على ذلك؟)[٢]، فأحجم الكل هزءا وسخرية، وامتدت يد طفل يافع، لم يدخله العيش بعد قائلا، (أنا أبايعك يا بن العم على ذلك)[٣]، فقال له: (وأنا بايعتك على ذلك)، ونظر إليهم وقال لهم:

وهذا خليفتي فيكم. فنظروا إلى أبي طالب وهو أمير هاشم، ومحمد في عرفهم من رعاياه، وقالوا له (يا للعجب أُنظر إلى ابن أخيك، كيف يؤمر ولدك عليك!)[٤]. ومرت الأيام، وأعلنها داويةً محمد أن لا إله إلا الله، وقام أمامهم بجنود شهدوها على رأسها عليّ معززا بجنود لم يروها، يقودها الروح، وأعطي قدرة وحكمة، وقام عَلَمًا وعِلمًا، وبرز عليّ له سيفا ولسانا، ويدا وجنانا. ودارت الأيام، واستجلب الناس إلى ساحة لا إله إلا الله طوعا وكرها، وطوَّف الله الناس حول بيت الله رسولا له، وألَّف الله بين قلوب، وجَمع حوله وعند قدميه نفوس، وداول الأيام بينه وبين أهله وعشيرته، فإذا هو العزيز الكريم، وإذا هم الضعفاء على كثرتهم، الأذلاء في استكبارهم وكِبرهم، وإذا به يقول لهم ورؤوسهم تحت أقدامهم (ماذا تظنوني فاعلا بكم؟)[٥]، ولسان حاله يقول، ها أنا القادر عليكم، إن شئت وهبتكم الحياة، فواصلتم الحياة، وإن شئت طهرت الأرض من أشواكها منكم، فقالوا (أخ كريم وابن أخ كريم)[٦]، فأبرز الله به عفوه وكرمه وسعة رحمته، فلم يقف عند إطلاق سراحهم، وعتق رقابهم من قبضة سيفه، وقد قال لهم (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[٧]، بل تألف قلوبهم بالعطاء، وهيأهم لوافر من الجزاء، وأعدهم لما أحكم من أمره، ليكون أمرهم.

وحقَّق لهم ما وعد، فكان لهم ملك العرب والعجم والروم، ولم يحققوا من جانبهم ما إليه أرشد، وأنكروا على بيته وأهله، لا هم بهم يؤمنون في دين، ولا هم لهم يسالمون في دنيا، خاصموهم في الدين ففقدوا الدين، وخاصموهم في الدنيا ففقدوا الدنيا، فلا عزة لهم وقد جعل الله لأهل الكفر بدينهم السبيل إليهم للسيادة عليهم، فصاروا كما كانوا في جاهليتهم الأولى، لا دنيا لهم بعد أن ملأوا دورهم بالأثاث والرياش، وقلوبهم بلقع[٨] من صحراء، لا دين لهم، وهم في جفوة مع ربهم، بجهل نما في نفوسهم، عن رمز بيتهم، ومعنى ربه، رسولا من أنفسهم. أول بيت وضع للناس داناهم من عليائه وأول إنسان كامل دانَى الناس بعثا من سمائه عاريا بالرفيق الأعلى لهم، إلا من رحم.

إن الذي قاله الأب، قاله الأبناء من بيته قياما له من بعده سفن نجاة، وأعلام حقائق، وساحة رحمة، وبيوت طواف، ووجوه حجيج، أعلام الأنبياء وقيامهم شهداء وعلماء، فكلما ظهر رجل من عترته أعاد في الناس كلمته وسيرته، يا أيها الناس، هل توافقوني على قول، لو قلتوه معي، لفض عن قيامكم الذل والهوان، وتخلصت عقولكم من الأوهام والمزاعم والبهتان، وتحررت رقابكم من قبضة أهل الكفر والطغيان؟ يا أيها الإخوان، يا أيها الناس، يا أيها الإنسان، إن الخلاص والنجاة، إنما هي في أن تصلُّوا معي على رسول الله. فيقولون مقالة الآباء، أهذه الكلمة، أهذه الكلمات، أهذا القول معك، يعيد لنا مجد العرب، ملك العرب، سيادة العرب، عزة العرب، سلطان العرب!! سبحان الله، هل كان للعرب عزة بغير هذا؟ هل كان للعرب سلطان بغير هذا؟ من هم العرب؟ حفاة الصحراء، رعاة

الكلأ، أدلاء القوافل، حراس الطرق، هل هذا مجد!! هل هذا شرف! لقد كان مجدا وشرفا حقا يوم كان العرب في قناعة به.. لا ينظرون إلى مدينة الروم أو إلى مدنية الفرس، فتستزلهم ببريقها، وتخرجهم عن كرامة أنفسهم، في قاحل أرضهم، وتبعدهم عن الاعتزاز ببيتهم ورب بيتهم وشرف أوطانهم. هَداهم إلى كسبهم من رزقه، في رحلتي الشتاء والصيف، بهما أطعمهم من جوع، وحول بيتهم بعقيدتهم بيتا له، آمنهم من خوف، ودفع عنه بتدافع الناس حوله بعضهم ببعض.

يا من ترون أنكم عربا، وأن لكم في العروبة شرفا، آمنوا بالقناعة، ولا تخشوا المجاعة، آمنوا بربكم، يطعمكم من جوع، ويؤمنكم من خوف، وصلوا على نبيه ورسوله، رسولا من أنفسكم، واعلموه فيكم وفي معانيكم، ما كان الله ليعذبكم وهو فيكم، معلوما لكم، قائما بكم، قائمين به، فرض كفاية قيامه في فريق منكم يحقق الغاية لجماع بكم، ما كان ليعذبكم وأنتم تستغفرون من أوزار ذواتكم، وظلمة نفوسكم، وضيق عقولكم، وشهوات أنفسكم، فتجاهدوا في الله حق جهاده، فيهديكم السبيل على ما وعد وتتقون بذلك منه ما أوعد.

إن الرب بصراطه المستقيم، إنما هو العبد على صراطه المستقيم. إن ربي لعلى صراط مستقيم. إنك لتهدي على صراط مستقيم. قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني. لقد خلَّف الرب عبده على السبيل، وجعله للناس، بين الناس، من الناس، في أنفسهم، عليه عين الدليل، قل هذه سبيلي، لقد أعطيتك سبيلي، لقد خلفتك عني، فكنت سبيلي، وكنت وجهي وحقي ودليلي. تقوم وتتقلب في الساجدين، ليكونوا عبادا لي، مسحاء لك، أنت عبدي وهم ظلالك، أنت القائد وهم رجالك، أنت الإمام وهم مثالك، أنت الكمال وهم حالك وأحوالك، قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وإذا سألك عبادي عني، يا من جعلته دائما في دوامي، وقائما في قيامي، وقياما لسلامي، وكتبا لكلامي، ونداءً لقيامي، ووجها لجلالي، ويدا لرحمتي، وقدما لسعيي، وبسطا لأمري، وقياما دائما لذكري، يا من جعلته عبدي، وأعلمت أن العبد لي عين الحق مني لمن يعرفني أو يطلبني، وأنه لا يرى مني لعبدي إلا رفيقا أعلى هو عبدي، في داني وجودي، علما بما في عالي وجودي، إن كل من في السموات والأرض إلا عبدي، وآت لعبدي، رفعت بعضكم فوق بعض درجات، ولترفعن جماعات طبقا فوق طبق، ما قدرني الناس حق قدري. يا أيها الناس، من كان يريد العزة، فإن العزة لله جميعا، إن العزة لله جعلها له ولرسوله، وللمؤمنين، وما الرسول والمؤمنون فيه، إلا عبادا له، في عباد له، هي حقائقه وحقيقته وحقه.

متى غاب الخالق عن الخلق؟ ومتى غاب المعبود عن العبد؟ ومتى غاب الموجد عن الوجود؟ ومتى غاب الغيب عن الشهود؟ ومتى غاب المشهود عن الناشد والمنشود؟ هذه لا إله إلا الله، فهل قامها

الناس؟ هل قامها المؤمنون؟ هل طلبها المسلمون؟ هل طرق بابها الحائرون؟ هل عمل بها المصلحون؟ هل استقام عليها السياسيون؟ هل عمل في حقها الاجتماعيون؟ هل وردها الاشتراكيون؟ هل اعتز بها الديمقراطيون؟ هل تحرر بها الأحرار؟ هل خشيها الأشرار؟ هل استظل بها أهل الدار في الدار؟ هل سار خلفها الثائرون؟ هل طلب وصفها العالمون؟ هل حن إليها العاقلون؟ هل رق معها المحبون؟ هل غرسها في الناس الصادقون؟ هل استنصرها العاملون؟ انظروا أنتم أنفسكم، وتأملوا أنتم أنفسكم. ما لكم على أنفسكم لا تحكمون، وقومكم لا تعتزلون، وإلى نفوسكم في أنفسكم لا تنعكسون، وأنتم لهذا القول صباحا ومساءً تسمعون؟ إنا لا نقطع من الله رجاء لكم وقد حقق الله رجاءنا لبعضكم، ولا نقطع بين أنفسنا وبين أنفسكم رجاءً لنا فيكم، وقد قام قدسي الرباط بمؤمنيكم وإن قل، ولكنا لا نريد أن نراكم مجرد مستمعين، لما تسمعون له غير آبهين، وبه غير عاملين. ما قامت هذه الجماعة، وما قامت هذه الدعوة، وما دار في هذه الندوة حديث، وما تواصى الناس في هذه الدار بحق، وما دار لهم قول، أو استقام لهم عمل، إلا على إدراك الصلاة على النبي، فَهمًا في النبي، وطلبا للنبي، وإيمانا بالنبي، وقياما في النبي، ورباطا مع النبي، وتجديدا للنبي، بالقضاء على النفس وشهواتها، وعلى الذات ونزواتها، وعلى الأنانية وغفلتها، طلبا للوحدانية وشرفها، في وحدة في الله علم أحديته وحدة قلوب في الله، وحدة نفوس لله، وحدة عقول بالله، وحدة أرواح في روح لله. ها أنتم ترون ثمارها فيما تشهدون ويحصد مجتمعكم ثمرتها مما تغرسون. إن الذي يقع أمام نظركم لتتأملوه وتقرأوه من آيات الله بأحداث الأرض في هذا الزمان، إنما هو فعل روح الله بكم عليها لنصرة السلام لأهلها.

نحن وحداويون، نوحد الله، ونتوحد مع رسول الله، فيوحدنا رسول الله، هو وسيلتنا إلى الله، فيوحدنا الله مع رسول الله رحمة من الله، فنقول لا إله إلا الله، ونعمل لا إله إلا الله، ونسعى لنقوم لا إله إلا الله، وراء من قام لا إله إلا الله، وتحقق لا إله إلا الله، فكان إمام لا إله إلا الله، عبدا لله، ورسولا من الله، وإماما للناس، وقائدا للناس، وحقا للناس، وربا للناس، وملكا للناس، وإلها للناس، وخادما للناس، وسيدا للناس، في رسول من الله، وعبد لله من عرفناه عبد الله في ذات مُحمد من الله، محمود من الناس، أحمد كلمات الله لكلمات الله، حقا من لا إله إلا الله في لا إله إلا الله، ووجها لحاضر الله، وقياما لظاهر الله، وكتابا لغيب الله، من إنسان الله في غيب الله لإنسان الله في شهادة الله.

هذا هو الإسلام على ما بلغناه وعرفناه، وهذا هو الإيمان على ما علمناه وشهدناه، وهذا هو العلم على ما تحدثناه فقمناه. فهل صلى الناس معنا على رسول الله، حتى يصلهم رسول الله؟ وحتى يتكشف

لهم فيهم رسول الله، فيعلمون أنهم من الله وإلى الله، فيسعدون بعلمهم عن الله، ويعملون قياما في الله بالله في ذهاب وإياب إلى الله ومن الله في معارج الله بالله؟

سبحان الله وتعالى الله عما يصفون، وتنزه الدين عما به يقومون، وعنه يتحدثون، فوهم الإدراك به تزعمون. أيها القائلون بلا إله إلا الله، اشهدوه أن لا إله إلا الله في أنفسكم، واعلموا أنه لا إله إلا الله في أنفسكم وفيما حولكم، واعلموا أن محمدا ما كان لكم إلا لا إله إلا الله، تدخلونها يوم تدخلونه، وتطوفونها يوم تطوفونه، وبيتها يوم تحجونه، وجه الله، ويد الله، وقدم الله، وعين الله، وأذن الله هو لكم وفيكم كل ذلك، وكل ذلك فيكم ولكم ما استقمتم معه، وتابعتم خطوه، وقبلتم هديه. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

اللهم يا هو.. يا هو.. يا هو، يا من ليس كهو إلا هو.. اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا، اللهم أنر بصائرنا، اللهم أيقظ عقولنا، اللهم طهر نفوسنا، اللهم قوم ذواتنا وجوارحنا، اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، اللهم كن لنا في أمرنا، اللهم خذ بنواصينا إلى الخير، اللهم عافنا من إقامة عدلك، وعاملنا بكرمك وعفوك، اللهم عافنا مما نحن له أهل، وعاملنا بما أنت له أهل، اللهم حقق لنفسك فينا ما من أجله خلقتنا، اللهم اصنعنا لك بيديك وعلى عينك، لنفسك لا لغيرك، اللهم طهر بيتك بقلوبنا، ولا تجعله لغيرك من رسومنا، اللهم وفقنا وسدد خطانا، وولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، واهدنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، وخذ بنواصينا إلى الخير، يقظين وغافلين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(هذا هو أعظم سرور لي أنظر إليه بشوق مستمر ففيه أتمكن من أن أصير نفس الحقيقة المجردة لمدة قصيرة، فأستمتع بميراثي الصحيح، وأختلط بالذين عرفتهم جيدا منذ زمان طويل، وأتذوق الحياة كما تفهم في تلك السماوات فقط، حيث لا يعرف الحقيقة إلا الذين أوتوا الفطنة الروحية بعد سنين من التقدم والتطور.

إني أرجع لأصحابي الذين رافقتهم قرونا كثيرة، لأتذوق الحياة التي عرفتها منذ أمد بعيد جدا والتي هجرتها بإرادتي لأخدمكم جميعا. ولا أكون صادقا إذا لم أقل في هذه المناسبة أني أنظر إلى الأمام مستبشرا بما أدخر هنالك من كنوز.

هناك ينعقد هذا المؤتمر الخطير وفيه من كل الكائنات ومن كل الشعوب ومن كل الجنسيات فيه كل الخدام والعاملين في ميادين كثيرة وفي أراضي عدة لكي يقارنوا مدى تقدمهم. في هذا الاجتماع

والعودة إلى حياتنا الحقيقية عيدنا الأكبر. لا يمكنني وصفه لكم لأنه لا توجد لغة تفي بالمراد. فكل المباهج التي تصورتموها في أعظم لحظات إلهامكم تتكمش وتنعدم قيمتها بجانب الحقيقة التي نلمسها في هذه المناسبات.

إني لا أتكلم لكم بهذا إعجابا بنفسي، ولكن مبشرا بما يصح أن يكون لكم، بل بما يجب أن يكون لكم. إنا نرثى لحالكم أنتم يا من هم في عالم المادة ونحن نراكم وقد تقيدتم بخمس حواس مهوشة، وسجنت أرواحكم في جسم فيزيقي فأصبحتم به محدودين ولا تعرفون شيئا من المباهج التي تمد للروح المنطلقة. وتنظرون إلى الحياة من الفتحات الخمس لسجنكم، فلا تدركون معنى الحياة ولا تعرفون أن الروح عندما تكتشف نفسها يكون لها الحرية لتستمتع بأكمل مباهج الروح الأعظم).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ عبارة جاءت في كتب السيرة النبوية المختلفة بتعبيرات متعددة، في إشارة لليوم الذي دعا الرسول صلى الله عليه وسلم قومه للإسلام ومما قاله لهم:" يا بني عبد المطلب إن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة فقال عزوجل: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ. أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله..."، تفسير الطبري، وشواهد التنزيل، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، والطبقات، وتاريخ دمشق، وتفسير الثعلبي.

٢ أُنظر الملحوظة السابقة.

٣ أُنظر الملحوظة السابقة.

٤ أُنظر الملحوظة قبل السابقة.

٥ من حديث شريف يوم فتح مكة: "معشر قريشٍ، ما ترون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ! قال: فإني أقولُ لكم ما قال يوسفُ لإخوتِه: لا تثريبَ عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاءُ." السيرة النبوية لابن اسحق، وابن هشام، كما رواه والطبري في "تاريخ الأمم والملوك"، والنسائي والبيهقي في "السنن الكبرى."

٦ أُنظر الملحوظة السابقة.

٧ أُنظر الملحوظة قبل السابقة.

٨ بلقع: تعني مكانًا أو أرضًا خالية لا شيء فيها، أي قفرًا وخاليًا من كل شيء.